ولا أعلم كيف غفل متأدبو الأندلس عن استقصاء شعر نسائهم والعناية بتقييده فهم يسمون ولادة بنت المستكفي غلية الأندلس، ويدعون حمدة بنت زيادة خنساء العرب، وهم مع ذلك لا يذكرون لكليهما إلا القليل المحدود من الشعر، الذي أثارته مناسبة فهل لم تأتِ خنساء المغرب بأكثر من بضعة عشر بيتًا في الشعر أكثرها مداعبات ومطارحات، وهل لم تأتِ إلى الأندلس بأكثر من عشرين بيتًا، بعضها منسوب لغيره أقوال، ولعل ذلك لأن أكثر الكتب التي وصلتنا من حياة الأندلس بعد سقوط ذلك البلد العظيم وألف في بلاد خفت فيها أدب المرأة عن منال الأقلام فلم يحفل كتابها بها .

الغيرة عند المرأة

الغيرة صفة ملازمة للمرأة لا تنفصل عنها، والغيرة المقصودة ليست غيرة المنافسة، ولكنها غيرة الجنس .. تغار المرأة من الأخرى من جمالها من من نسبها من مالها من ذكائها من حب الناس لها، من حديثها الجذاب .. وإن أنوثتها والذي يجعلها أكثر غيرة مثلا حينما يكون ذلك مع محبوبها .. أو أكثر مع زوجها .. مما يزيدها اشتغالًا.

ولكن هل كل النساء سواسية .. والحقيقة أنه بالتأكيد لا فالغيرة شهوة نفسية مثل كل الشهوات تستطيع المرأة بعقلها وكنين خلقها أن تسيطر على رغباتها..وأن تستخدم عقلها، ولكن هناك درجات لا يمكن السيطرة عليها مثل الاستفزاز للرجل الحليم ..كما أن درجات السيطرة ترجع إلى الطبيعة والذكاء، وكل أنثى بنفسها تعلم ما يمكن لها تحمله.

وللغيرة درجات قاتلة ومدمرة وربما كانت هي أكثر الأشياء دافعًا إلى جرائم النساء وانتقامهن بشراسة وعنف..

وربما كان تجاهل الرجل لطبيعة المرأة عاملًا من عوامل إثارة غيرتهم ودافعًا لقتل الرجال أو لنهاية الحياة الزوجية أو أن تكون المرأة نفسها ضحية للضياع النفسي.

والغيرة المقننة صفة جميلة تدفع المرأة أن تصبح أفضل وما حسن منها ينير الحياة الزوجية رونقًا وبهاءً ..

أما الغيرة التي هي الحقد فهي صفة إجرامية لا مجال لها هنا .

ربما كانت غيرة المرأة من أخطر الاختبارات في حياتها، ومن أكثر الأمور التي تظهر معركتها .. وربما دفعتها إلى الجريمة المباشرة .. فغيرتها من امرأة مثلها ربما دفعتها إلى الحقد عليها أو إيقاعها في شر أعمالها .. أو إشاعة الفاحشة عنها .. أو غير ذلك .. وربما قلدتها في أمور لا تتناسب مع دينها أو خلقها .

وبالطبع فهناك درجات من العقلانية في الغيرة .. ولكن حتى ولم يكن فاندفاعها في الجريمة أو التقليد الأعمى هو دليل الميل إلى ذلك ووجود النزعة الإجرامية لديها . وأن الدافع بسبب الغيرة عبارة عن نقطة الشرر .. ولكن الغريب أن المرأة ربما قتلت زوجها بسبب غيرتها عليه، ربما دمرت حياته ببطء بما تجلبه من إيقاعه في ديون أو مشاكل أو بسبب غيرتها من مجرد الابتسامة .. لفتاة أو لصديقة هي تعرفها.

وربما دفعت الغيرة المرأة إلى أن تدفع زوجها إلى الموت دون أن يشعر لتتخلص منه أو تقتله بنفسها في حالة زيادة الأعراض النفسية لديها أو لشدة الغيرة .. وهو أهون عليها من أن يعيش مجرد محب لفتاة أخرى .. وبهذا فالجوانب الإجرامية لدى المرأة مجهولة المعالم والأسباب . إلا من قريب منها ..

وعمومًا فالغيرة عند المرأة السوية هي صفة لا غنى عنها لدفعها للتميز وللبحث عن الأفضل، وهي أمام الرجل من أجمل الصفات؛ لإشعاره برجولته أمامها وأيضًا هذه الغيرة .. تكسب الحياة الزوجية شيئًا من الجمال والمتعة .. إن كانت بقدر يسير مثل الملح في الطعام .. بل غيابها لا يعطي للحياة أي طعم أو بريق .

الغيرة من أجل الحيازة والطمع هي غيرة متمكنة من نفس عدد كبير من النساء وأولئك المتشبهات بالأثرياء المترفين أساسها الأنانية والكبر والولع بالمظاهر ثم تزعم أن مبعثها العميق هو الحب في حين أنها تنحدر بغيرتها وحبها إلى إدراك المطلب المادي الحقير الذي ينحرف الرجل عن غايته.

كانت) حفصة بنت سيرين (أخت محمد بن سيرين تقول أما تستحي الحرة أن تغار .. وأرادت يومًا أن تدخل إلى بيتها فإذا زوجها مع جارية له على فراشها .فأغلقت عليهما الباب، وانصرفت فلما كان بعد أيام ضرب الجارية فقالت له أتضرب العروس فضحك وقال قد علمت أنك قد عرفت والجارية لك.

مشكلة الغيرة تصبح مشكلة حرجة بصفة أخص في مرحلة انقطاع الطمث إذ إنها هي المرحلة التي تخشى عليها المرأة أن يكون جمالها قد بدأ يذبل، وأن زوجها سوف يتحول عنها إلى امرأة شابة أكثر جاذبية ثم يزيد مما ينطوي عليه من اضطراب أنه غالبًا ما يكون قائمًا على غير أساس إطلاقًا، وأنه لا يزيد عن كونه خوفًا وهميًا .

يُقال وغارت المرأة على الرجل غيرة، وثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره، أو لانصرافها عنه إلى آخر .ويُقال رجل غيور وامرأة غيور .. ويُقال غيري) .. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله) صلى الله عليه وسلم (خرج من عندها ليلًا قالت فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه فجاء فرأى ما أصنع فقال أغرت؟ فقلت وما لمثلي أن يُغار على مثلك فقال) صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك شيطانك.( ) أخرجه مسلم والنسائي(

وعنها رضي الله عنها قالت) ما رأيت صانعة طعام مثل هنية صنعت لرسول الله) صلى الله عليه وسلم (طعامًا وهو في بيتي فأخني أوكل فارتعدت من شدة الغيرة .. فكسرت الإناء ثم ندمت .. فقالت يا رسول الله) صلى الله عليه وسلم (ما كفارة ما صنعت؟ قال) إناء مثل إناء وطعام مثل طعام (

)رواه أبو داود والنسائي (

)وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك (

)ويرى الأستاذ العقاد أنهم أشد غيرة ولذلك أسرع تقليدًا؛ لأن المشاكلة بينهم في المناقب والمفاخر أقرب مما هي بين الرجال (

)وهكذا نجد أن المرأة تغار وتتعذب لشعورها بالضعف أمام الرجل والضعف أمام الطبيعة والضعف أمام المجتمع والضعف أمام كل مخلوقة أجمل منها كل ذلك يجعلها مجبورة على مكافحة جميع ألوان الضعف للتفوق على أترابها(

)روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج أقرع بين نسائه فطارت القرعة على عائشة وحفصة فخرجنا معه جميعًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها فقالت حفصة لعائشة ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر قالت بلى .. فركبت عائشة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم ثم سار معها حتى نزلوا فافتقدته عائشة فغارت فلما

نزلوا جعلت تركل رجلها بين الإذخر وتقول يا رب سلط علي عقربًا أو حيةً تلدغني رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا (وهذا دليل على تأجج الغيرة في صدرها.

روى النسائي عن أنس بن مالك قالوا يا رسول الله ألا تتزوج امرأة من الأنصار) قال :إن منهم لغيرة شديدة . (وما كان أحلمه صلى الله عليه وسلم وأرق وجدانه وألطف مزاجه حين سمع قصة ائتمار نسائه بعروس له أشفقن من جمالها فأوصينها أن تستعيذ بالله حين يدخل المصطفى عليها استجلابًا لمحبته ورضاه ففعلت وسرحها المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخل بها، وقال عن نسائه) إنهن صواحب يوسف وإن كيدهن عظيم ( )رواه البخاري والترمذي(

روي أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وخرج معه نساؤه، وكان متاع عائشة فيه خف، وكان على جمل تاج وكان متاع صفية بنت حيي فيه ثقل، وكان على جمل بطيء فقال حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ذلك قالت): يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :رسول الله صلى الله عليه وسلم :يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف وكان متاع بنت حيي فيه ثقل فأبطأ الركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها فقالت عائشة : أليس تزعم أنك رسول الله؟ فتبسم وقال وفي شك أنت يا أم عبد الله؟ فعادت فقالت أو لست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت فتبسم وقال صلى الله عليه وسلم وفي شك أنت يا أم عبد الله فعادت وقالت أو لست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت فسمعها أبو بكر وكان فيه حدة فأقبل عليها ولطم وجهها فقال مهلًا يا أبا بكر فقال يا رسول الله أولم تسمع ما قالت .. فقال صلى الله عليه وسلم إن الغيران لا يبصر أسفل الوادي من أعلاه (

قال صاحب تفسير الميزان): ونسبة الكيد إلى كونه من امرأته للدلالة على أنه إنما صدر منها بما أنها من النساء وكيدهن معروف ولذا استعظمه وقال) إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (وذلك أن الرجال أوتوا من الميل والانجذاب إلى النساء ما ليس يخفى وأوتين من أسباب الاستمالة والتحبب ما في وسعهن أن يأخذن بمجامع قلوب الرجال ويسخرن أرواحهم بجلوات فاتنة وأطوار ساحرة تسلب أحلامهم وتقدمهم إلى إرادتهم من حيث لا يشعرون وهو الكيد وإرادة الإنسان بسوء.

عن امرأة العزيز والذي نراه - والله أعلم -أن الخبر أشيع عن طريق الخادمات وزوجات الخدم، ولقد لقى هذا الخبر نساء بين نساء علية القوم، وطبيعي أن تنشغل هذه الطبقة المترفة بهذا الخبر، الذي أصبح موضوعًا لأحاديثهن في محافلهن ومجامعهن لما فيه من متعة ولذة وتعجب وتندر من حال امرأة العزيز وشماته بها.

قال الزمخشري :متكأ أي مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب، والحديث كعادة المترفين.

وبينما هن منشغلات بهذه الموائد الفاخرة وبتلك الأثاثات الباهرة إذ بامرأة العزيز تأمر يوسف بالخروج إليهن وقالت :أخرج عليهن، ولم يكن -عليه السلام -مدركًا لحقيقة الموقف، ولم يكن على علم بتلك المؤامرة التي دبرتها امرأة العزيز للنسوة اللائى كن منشغلات بما في أيديهن فخرج عليهن يوسف -عليه السلام -بطلعته البهية وجماله الفائق وحسنه الرائق، وخطف أبصارهن كما يصنع البرق الخاطف وغيب عقولهن فقطعن أيديهن، ولقد أثر جمال يوسف على قلوبهن حبًّا وطربًا وعلى لسانهن ثناءً ومرحًا، وعلى أيديهن دماء وجرحًا قال تعالى مخبرًا عن حالهن .

)فلما رأينه أكبرنه ـ أي عظمنه ـ وقطعن أيديهن(

فلما رأت منهن إعجابهن به .. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه .. ثم اعترفت بخطئها وبأنها هي التي راودته عن نفسه، ولكنها أنكرت ذلك أمام زوجها خوفًا من فضيحتها.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت) إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه الذي مات فيه :مري أبا بكر فليصل بالناس، قالت إنه رجل أسيف حتى يقيم مقامك .قال شعبة فعاد صلى الله عليه وسلم فعادت فقال صلى الله عليه وسلم في الثالثة أو الرابعة؛ إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس.

وروى البخاري أيضًا في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت) لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فأرادت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر .

ومن هنا فإن وجه الشبه بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين امرأة العزيز والنسوة هو من جهة) ظاهرها أمر وإرادتها أمر آخر .

العنف ضد النساء

تُصاب المرأة في العصر الحديث بمرض نفسي هو عدوانية الاتصال، وهذا المرض هو عبارة عن عصبية وعدوانية في الطبع ناتج من الضغط المستمرة عليها داخل المنزل وخارجه في العمل والشارع وما تلقاه من شعور بعدم الثقة فيمَنْ تتعامل معهم نتيجة لسوء أخلاقهم فيزيد من حالة الضغط العصبي عليها والإجهاد النفسي لعدم الشعور بالأمان خصوصًا إن كان الزوج غير مقدر لهذه الأعباء .

لعل المرأة تشعر من تلقاء نفسها بالطامعين والعابثين، ولكن هي تعلم أنها تقدر أن تصون نفسها، ولكن إن كان مثل الجار والزميل في العمل هكذا والزوج لا يقدر بل ربما لامها هي كل ذلك يزيد من أعبائها النفسية والعصبية ما ربما كان الدافع لإصابتها بأمراض صحية ربما أهلكتها .

ويسهم ضعف شعور الرجل باحترام ذاته أو الثقة في ذاته في ممارسة العنف للتعويض عن النقص وللحماية من مشاعر الفشل والإحباط والقابلية للهزيمة والهجوم وذلك باستخدام العنف ضد زوجته، وقد يلجأ الرجل إلا ممارسة العنف الفيزيقي للسيطرة لهزيمة المرأة ومنع تفوقها على الرجل، ويعتبر عجز المرأة عن الواجبات المنزلية على الوجه الصائب قد يثير هذا الزوج ويلهب مشاعره، وخصوصًا إذا كان يعتقد أن عدم طهو زوجته للطعام بالطريقة التي يرغبها أو حسب مذاقه حين يعتقد خطأ أو صوابًا أنها تهمل في شأنه وبالتالي يعتدي عليها.

وتقول عايدة سيف الدولة إن العنف ضد النساء ظاهرة منتشرة جدًّا بل وتزداد ضراوة مع الأيام بكافة أشكالها وحتى معاكسات الرجال للنساء في الشارع التي كانت تطغي عليها روح الدعابة أصبحت عدوانية تهاجم المرأة غير المتحجبة، وتوجه إليها ملاحظات قاسية تتعلق بملابسها أو تنعتها بأقبح الصفات أو تشتمها والسبب الرئيسي في ذلك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلاقة المرأة بالرجل .

تمارس الزوجة العنف ضد زوجها بعد تعرضها للضرب المبرح من قبله، والإهانات المستمرة والمعاملة السيئة والمشاجرات العنيفة أمام الأطفال والجيران والتشهير بسوء سلوكها للضغط عليها كي ينال منها شيئًا يريده أو الزوجة من الأخرى ورفضه تطليقها وذلك في ظل رفض الأسرة مساندته أو تدمر ذاتها بالانتحار أو تحاول الانتحار يأسًا من تغيير أوضاعها.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي :

"إن بعض الأفكار القائمة عن المرأة قد تسربت إلى عقول طائفة من المسلمين فساء تصورهم لشخصية المرأة ولدورها، وساء تبعًا لذلك سلوكهم في معاملتها .فهناك مَنْ ينظر إليها بنظرة استهانة واستعلاء فهي عندهم أصول الشيطان وشبكة إبليس في الإغواء والإضلال وناقصة عقل ودين، ويعتبرونها ناقصة الأهلية، وكم استغلوا في هضم المرأة وإعطائها دون مكانتها أحاديث لا أصل لها ولا سند ."

وهناك أناس من الشواذ لا يستثارون جنسيًا إلا إذا مارس العنف والعدوان والإيذاء على المرأة

ينصح الأطباء الذي يتولون علاج المرأة من المشكلات الجنسية أن ينتبهوا إلى مرور المرأة من تجربة اعتداء جنسي من اغتصاب مما أدى إلى خلل في وظائفها الجنسية، وقد يتسم الشعور بعدم الإشباع لعدة سنوات.

ولقد دلت بعض الدراسات أن النساء اللاتي تعرضن للتحرش الجنسي كن يعانين من بعض الأعراض الفيزيقية مثل حدوث اضطرابات في المعدة أو المعاناة من صعوبة النوم أو فقدان الوزن وكذلك اتضح أنهن يعانين من بعض الأعراض النفسية والانفعالية من ذلك الشعور بعدم احترام الذات والشعور بالاكتئاب والقلق أو الغضب.

وتؤكد معظم الدراسات على أن المرأة التي يقع عليها الاغتصاب في معظم الحالات وليس من الضروري كلها تفعل شيئًا أو تقول شيئًا أو تتصرف تصرفًا يشجع على اغتصابها أو إغراء الجاني لاغتصابها، ووفقًا لبعض الإحصاءات مثل هؤلاء النسوة يستسلمن بسهولة للتهديد وتقل نسبة هؤلاء إلى % 50 من الضحايا، وأن هناك 27 %يقاومن مقاومة ضعيفة و % 8يقاومن بشدة واستبسال، وهناك بعض النساء ممَنْ لديهن رغبة تلقائية أن تكون الواحدة منهن ضحية.

والنبي صلى الله عليه وسلم يرفض العنف ضد المرأة، وكما وضحنا سابقًا أوصى بالنساء خيرًا

وقال صلى الله عليه وسلم " اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم "

روي أن عمر بن الخطاب راجعته امرأته فقال لها أتراجعينني يا لكعاء يعني يا حمقاء فقالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك"

قال صلى الله عليه وسلم " إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلًا " وهذا الحديث يمكن أن يستثني من العصر الحديث فقد أصبحت وسائل الاتصال متيسرة وسهلة والمواصلات ميسرة، ولكن نأخذ بمعنى الحديث وهو أن يفاجئ الرجل زوجته يتخونها وبالتالي يبعث القلق وإشعارها بالشك فيها، وهو ما يكون له أثر سيئ على مشاعرها وربما ضر بعلاقتهما الزوجية فيما بعد وربما بعث الشك في قلوب المحيطين بها فرموها واتهموها حتى ولو لم تكن كذلك؛ لأن زوجها هو الذي حفزهم على ذلك بتصرفه .

الاسلام يحافظ على الجوانب النفسية، ويحافظ على مشاعر الزوج لزوجته والعكس فكيف يبيح الاعتداء البدني، وهو غير المقبول عند الجميع وكذلك القهر النفسي وكل ما يسيء إلى الحياة الزوجية واستقامتها